

الوزير بدر الجمالي والدولة الفاطمية والدكتور الصادق المخني

مقدمة :

استرعى انتباهي بسبب اهتمامي بدراسة الدولة الفاطمية شخصية الوزير الفاطمي بدر الجمالي الذي تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله الفاطمي فوجدت فيه وزيرا يختلف عمن سبقه وحتى من لحقه : وذلك في سياسته من أجل ارجاع الهيبة الى الدولة واعطائها نفسا جديدا استطاعت بواسطته أن تصارع وتعيش أكثر من قرن في عالم اسلامي منقسم على نفسه ، فهذا النفس الجديد حمل معه بصمات هذا الرجل في كثير من الميادين : في تنظيم الدولة في استتباب الأمن - في تعمير البلاد - في تدعيم المذهب الإسماعيلي - في وضع عنصر جديد أرمني على رأس الوزارة استمرت ورائته فيه مدة كما أنه بداية من عهده بدا دور الوزراء العظام الذين اشتد صراعهم على السلطة وأصبحوا يتدخلون في تعيين الخلفاء مما كان له أثر على نهاية هذه الدولة الى جانب عوامل أخرى طبعاً (1) .

اذن هذا ما دعاني لمحاولة إلقاء أضواء على هذه الشخصية محاولا خاصة إبراز ما يميزه عن غيره ، ولكن قبل الإهتمام ببدر الجمالي رأيت التعرض الى الوزارة للوقوف على تطورها والى الظروف التي عاشتها مصر قبل أن تنقذ على يد هذا الوزير .

(1) ولو أن ذلك يمسود إلى تولي الأطفال عرش هذه الدولة إلى جانب الخطر الصليبي انظر حسن ابراهيم حسن / تاريخ الدولة الفاطمية ص 279 - الذي ينقل هذا عن مرغليوث

الوزارة في العهد الفاطمي :

ان الوزارة كما تعرض لذلك من بحث هذا الموضوع خطة مستحدثة في الدولة الإسلامية (1) بدأت مع العباسيين ، وفي الوزير مؤازة ودعم للخليفة وتقديم المشورة اليه (2) فيما يخص تسيير شؤون البلاد ، ويختلف دور الوزير ووزنه حسب شخصية وضعف أو قوة الخليفة الذي وزره لذلك هناك وزير تنفيذ ووزير تفويض . يوجز الماوردي الفرق بينهما كما يلي (3) : يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم والإستبداد بتقليد الولاة والإنفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب والتصرف في أموال بيت المال يقبض ما يستحق له أو يدفع ما يجب فيه - وليس لوزير التنفيذ هذه الصلاحيات . ويضيف نفس الكاتب الى ذلك أن الحرية والإسلام (4) والعلم بالأحكام الشرعية من شروط وزير التفويض بينما هذه لا تشترط في وزير التنفيذ .

ونعود الآن الى الوزارة في الدولة الفاطمية لنرى مراحل تطورها فنقول أن الفاطميين لم يعتمدوا على وزير في العهد المغربي (5) فكان الإمام أو الخليفة يحكم بمفرده ، واستمر ذلك في بداية العهد المشرقي ولوان جوهر الصقلي فاتح مصر وقائد جيش الفاطميين كان له دورا شبيها بذلك (6) دون أن يصيغ عليه شكل «الرسمية» ولعل الخليفة عند الفاطميين اضيفت عليه في البداية صفات فوق البشر (7) مما جعله لا يلتجئ الى مشورة أو استعانة

-
- (1) وقد استنتج المسلمون شرعيتها من قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى : واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشد به ازري واشركه في امري (سورة طه ، الآية 29) .
 - (2) - انظر الوزارة في مقدمة ابن خلدون ص 236 (دار الكتاب العربي - لبنان)
 - (3) - الماوردي / الأحكام السلطانية من ص 22 إلى 29 .
 - (4) - لم تكن هذه قاعدة ثابتة في عهد الفاطميين اذ أنه استولى عليها نصراني وهو بهرام الارمني سنة 529 هـ في عهد الحافظ - انظر ج ابراهيم ج / تاريخ الدولة الفاطمية ص 177
 - (5) - راجع ابن خلدون / المقدمة ص 240
 - (6) - راجع ج ابراهيم ج / تاريخ الدولة الفاطمية ص 268
 - (7) - انظر المصدر السابق ص 266

بأحد . الا أنه في عهد العزيز خليفة المعز بدا دور الوزير يظهر للعيان وتمثل ذلك في اليهودي المستسلم ابن كلس (1) الذي اقتصر دوره في الإشراف على الدواوين المختلفة وتنفيذ أوامر الخليفة لذلك عدّ وزير تنفيذ أو وزير القلم . وأصبح يطلق على من تولى هذه الخطة بعد انسحاب ابن كلس من ساحة السياسة - لقب واسطة أو سفير الى أن جاء الحاكم بأمر الله الذي اشتهر عنده بالتصرفات الغربية والتصفية الجسدية لموظفيه بدون كلل وادعاء الالوهية (سواء اذاعها هو أو ألصقها به البعض) ولم يعد للوزير دور يذكر أمام خليفة أرتأى أن يباشر كل شيء بنفسه مت دخلا في الكبيرة والصغيرة ضاربا بقوة كل من له بعض القوة من موظفيه مهما كانت أهميته أو شهرته بين الناس (2) . وبعد اختفاء هذا الخليفة استمر حضور الوزير بشكل منفذ لأوامر الخليفة أو واسطة الى أن كان عهد المستنصر الذي تولى الحكم صبيا لم يتجاوز السابعة من عمره (سنة 427 هـ - 1034 م) فكانت أمه وصية عليه ولذلك كان لا بد من ايجاد وزير له بعض القوة يشارك في تسيير شؤون هذه الدولة ذات الأراضي الشاسعة الا أن هذا لم يصل الى درجة الاستقلال بالحكم حتى اسندت الوزارة الى أبي محمد عبد الرحمان اليازوري (سنة 440 هـ - 804 م) الذي كان على درجة من الظموح والحكمة جعلاه يفرض نفسه وساعدته في ذلك أم المستنصر وهذا الإبن المسالم الذي يظهر انه لم يخلق لتسيير دولة في وزن التي وضع على رأسها لذلك نجد اليازوري يرتقي الى رتبة وزير التفويض مستوليا في أن واحد على وظيفة قاضي القضاة وداعي الدعاة وبالرغم من نفوذه الكبيرة وتصرفه في الأموال وارساله الجيوش لمحاربة الأعداء ورغم ذلك لم يلقب بوزير التفويض بشكل رسمي ، وسير الدولة وكأنه صاحب الكلمة الأولى في اختياراتها وقرارتها الا أن دسائس موظفي القصر أو صلته الى الجلاد ليقطع رأسه (3) .

(1) - راجع نفس المصدر من 270 الى 272 .

(2) - راجع سيرته في المقرئزي / اتماظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 من ص 3 الى 123 .

(3) - راجع المقرئزي / اتماظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 من ص 203 الى 235 .

وانظر تطور الوزارة في موضوع الفاطميين ب : Encyclopédie de l'Islam

وبعده دخلت البلاد في فوضى: قل أن عرفتها وستعرض إليها في
في العنصر الموالي حيث أصبح الوزير لا يلبث أن يجلس على كرسي الحكم
حتى يرغم على التنحي دون أن يُمنح الوقت الكافي ليُعبّر عن وجوده ،
ويكفي أن نقول أنه بعد قتل اليازوري تولى الوزارة ما لا يقلّ عن أربعين
وزير إلى أن حل بمصر بدر الجمالي (سنة 466 — 1073) ففرض نفسه بالقوة
وفوضت إليه كل السلطات وجعل الجميع بداية من الخليفة حتى أصغر
موظف يعيشون في ظله وزرع بذلك سنة سينسج على منوالها من جاء بعده
من الوزراء حتى نهاية الفاطميين .

اذن اذا اردنا ايجاز تطور الوزارة في العهد الفاطمي بمصر قلنا
أنها بدأت مع العزيز واستمرت في شكل وزارة تنفيذ أو واسطة أو سفارة ،
وزرعت مع اليازوري في عهد المستنصر بذور وزارة التفويض التي توقفت
لمدة فيما بعد ثم عادت لتتنمو بسرعة وتعطي ثمرتها في عهد بدر الجمالي
وتواصل سيرها في هذا الطريق حتى سقوط الدولة الفاطمية .

الفتنة التي مهدت طريق الحكم الى بدر :

اعتمد الفاطميون في تقوية جيشهم على فرق من جنسيات مختلفة جعلوا
لها أحياء خاصة تسكنها وتكون على استعداد عند الطلب (1) . وقد كان
العنصر الغالب من هذه الفرق في البداية هم المغاربة الذي اصطحبهم معه
جوهر الصقلي — فاتح مصر — ثم المعز لدين الله ، وكانوا محل ثقة
لأن الدولة قامت على أكتافهم في شمال افريقية الا أنه وقع تنويع فرق الجيش
فيما بعد إما لما ابداه السكان من نفور من المغاربة لغلظتهم أو خشية تسلطهم
على الحكم لأن الروح الحربية قد أفلت في نفوسهم فرأى الفاطميون عدم
الإعتماد عليهم كلياً ، الا أن تنويع هذه الفرق يعود أيضاً الى رغبة الوزراء
وبعض من لهم نفوذ في الحكم وضع مجموعة مطيعة الى جانبهم يستطيعون
السيطرة بها في الوقت اللازم على مجرى الأحداث وهكذا وجدت عدة

(1) راجع رسم مدينة القاهرة المصاحب لهذا البحث .

فرق بين لنا تخطيط القاهرة (1) كثرتها - الا أن العنصر القوي في بداية حكم المستنصر كان الأتراك ثم أخذت أم المستنصر التي كانت سرءاء تشتري العبيد لتقوى بهم حكومة ابنها الصغير السن ولتقف بهم أمام نفوذ الفرق الأخرى وخاصة الأتراك . وهكذا جمع لها رئيس ديوانها التستري (2) عددا هائلا من هذا الجنس قد يكون وصل الى خمسين الف ومن هنا أخذ السباق بين هاتين الفرقتين من أجل الخطوة والنفوذ في بلاط المستنصر وقد تمكن الوزير اليازوري بحكمته وحسن تدبيره من توقيف الصراع بين الفرق . وما أن اخفى حتى بدأت الفرقتان المذكورتان في حبك دسائس ضد بعضهما ولعل ذلك كان بتحريض من أم المستنصر التي تعطف على العبيد . وقد انطلق الخلاف لسبب مباشر بسيط (3) ثم تحول الى حرب أهلية دامية ومدمرة للبلاد : فكان الأتراك في طرف بقيادة أحد بقايا الحمدانيين : ناصر الدولة ابن حمدان (4) وفي الطرف الآخر العبيد وتحرضهم أم المستنصر ويلاقون عطف الخليفة . ودارت المعارك بينهم بدون توقف الى أن تمكن الأتراك من دحر السود نحو الصعيد ثم لحقوا بهم فيما بعد وقضوا على الأغلبية الساحقة منهم . وقد صادف خلال هذه الحروب أن فيضان النيل لم يكن في المستوى كما أن الجسور والترع والقنوات هدمتها المعارك ولم يجد الفلاحون الأمن لإعادة الإهتمام بأراضيهم فالخليفة صغير ومسالم والوزراء ضعفاء ويتغيرون باستمرار .

وقد نتج عن فقدان الأمن كثرة قطاع الطريق والنشالين وانتشرت الى جانب ذلك الأوبئة التي أدت الى جانب الجوع الى فناء حوالي ثلثي السكان (5) وقد إلتجأ الناس الى أكل اللحم الادمي والجيف ، وأخذ من يستطيع مغادرة البلاد يتوجه نحو الشام والعراق .

-
- (1) راجع مخطط القاهرة المصاحب لهذا البحث .
 - (2) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 ص 222 .
 - (3) انظر هذه الفتنة اسبابها وتطورها في المقرئزي / اتعاظ الحنفا / تحقيق حلمي ص 265 ج 2 وما بعدها وراجع كذلك المقرئزي / اغاثة الأمة / ص 22 إلى 27 .
 - (4) - انظر نسبه في اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 309 / تحقيق حلمي
 - (5) هذا ما توصل إليه رشيد البراوي و / في حالة مصر الاقتصادية / ص 35

وقد ازداد الطين بلة حينما خلا الجو للأتراك فأخذوا بقيادة ابن حمدان يصلولون ويحولون في البلاد ، ففرضوا على المستنصر اخراج ما في القصر من غال ونفيس لاستعماله في حاجاتهم الخاصة (1) واستحوذوا على مداخيل المكوس والأداءات وهكذا أهملت الفلاحة التي هي المورد الأساسي للبلاد . وانتشرت الأمراض وكثرت الوفيات وافرغت القصور من محتوياتها وغلت الأسعار وكثر النهابة .

ونسوق هنا بعض ما أورده المقرئزي عن هذه الحالة في اتعاظ الحنفا الذي نقل فيه روايات شاهدي عيان عاشوا الأحداث .

أ - عرضت امرأة عقدا قيمته الف دينار مقابل شيء من الدقيق فسلم لها بعد محاولات تليس فحملته من مصر واكثرت معها من يحتفظه من النهابة وسارت تريد منزلها بالقاهرة الا أن الناس تكاثروا عليها عندما قربت منزلها وانتهبوها فانتهبت هي معهم فصار إليها ملء يديها دقيقا لم ينلها (لم يصبها) منه غيره فعجنته وشوته الخ ... (2)

ب - طلب بعض الأغنياء يوما المستنصر الى باب القصر فلما وقف بين يديه قال له : يا مولانا هذه سبعون قمحة وقفت على بسبعين دينارا فبند اشترت قمحا فتهب مني ولم يبق لي منه سوى ما وقع بيدي فعددته فإذا هو سبعون حبة واذا كل حبة بدينار الخ (3)

ج - قالت امرأة كانت لنا جارة ترينا افخاذها وفيها كالخفر فتقول أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة فأخذني انسان وكنت ذات سمن وجسم فادخلني بيتا فيه سكاكين واثار الدماء فضعجني على وجهي وربطني الى أوتاد حديد عريانة ثم شرح من افخذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبي ثم أضرم الفحم وشوى وأكل أكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه فأخذت في الحركة الى أن تخلى أحد الأوتاد وأعان الله على الخلاص الخ ... (4)

(1) - راجع الذخائر والتحف لابن الزبير

(2) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 ص 299

(3) - راجع المصدر السابق ج 2 ص 299 .

(4) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 ص 297 .

د - وال أمر المستنصر الى أن أصبح يجلس على نخ أو حصير وتعطلت دواوينه وذهب وقاره وخرجت نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن : الجوع ، وهن يردن المسير الى العراق ، فمتن جوعا بظاهر باب النصر من القاهرة (1) .

هـ - جاء الوزير يوما على بغلة فأكلها العامة فأمر بهم فشنقوا فاجتمع الناس على المشنقين وأكلوهم (2) ...

هذه عينات مما يذكره المقرئ حول هذه الشدة أو الأزمة الحادة التي عرفت مصر بعد قتل الوزير اليازوري وامتدت حتى سنة 466 هـ / 1073 م .

والى جانب كل ما ذكره نجد أن الأتراك ازدادوا تعنتا بقيادة ابن حمدان الذي اهان المستنصر وعاقب امه (3) وتعالى حتى على رفاقه في هذه الحرب وأصبح يستأثر دونهم بما يخرج من القصر أو كل ما يقع بين يديه مما جلب إليه حقد وغيره الأتراك . وذهب ناصر الدولة ابن حمدان الى حد قطع الدعوة الفاطمية من الوجه البحري وخطب للعباسيين وبعث الى الب ارسلان (4) طالبا منه الإعتراف به وارسال الخلع والجيش لمساعدته وهنا تحرك الأتراك والمستنصر فحاربوا ابن حمدان كل حسب هدف خاص وبشيء من المكيدة والغدر تمكنوا من القضاء عليه .

وبعد نهاية ابن حمدان خلا الجو للأتراك فتواصل جورهم واحتقارهم للمستنصر ، ولم تتوقف الشدة بل تغيرت قيادتها من ابن حمدان الى

(1) - راجع المصدر السابق ص 298

(2) نفس مصدر ص 298 .

(3) - نفس المصدر ص 307 .

(4) - يقول المقرئ / في اتعاظ الخنفا ص 302 : ان ابن حمدان بعث ابا جعفر محمد بن احمد بن البخاري رسولا منه إلى السلطان الب ارسلان ملك العراق سلطان السلاجقة العظيم يسأله ان يسير اليه العساكر ليقم الدعوة العباسية بديار مصر وتكون مصر له

كبير الأتراك يلدكوس أو بلد كوز ، وهنا ضاق صدر المستنصر فالتجأ الى بدر الجمالي الموجود في عكا لإنقاذه (1)

من هو بدر الجمالي :

هو بدر بن عبد الله (2) أرمني الجنس أسر في إحدى الغزوات (3) باتجاه الشمال اشتراه وهو صغير جمال الدولة أبو الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس الشام لذلك نسب إليه وبقي يحمل اسمه . وإذا صح ما ورد من أنه عند وفاته سنة 487 هـ - 1094 م تجاوز الثمانين أو وصلها فتكون ولادته حدثت في بداية القرن الخامس للهجرة (4) .

عندما أصبح مملوكا لجمال الدولة ابن عمار ظهرت عليه النجابة والجد والإنضباط مما مكّنه من الإرتقاء في سلم الوظيفة بعد أن أثبت كفاءته (5) وإذا استثقتنا بكلام ابن خلدون الذي ينقل عنه عبد المنعم ماجد فإن أول المناصب الهامة التي تولّاها بدر الجمالي كانت الحجابة لصاحب دمشق حيث استكفاه فيما وراء بابه (6) ولما مات صاحب دمشق قام بأمور هذه الولاية بتعيين من الخليفة الفاطمي المستنصر وذلك في سنة 455 هـ 1063 م ويكون عمره بالإعتماد على المعطيات السابقة قد قارب الخمسين فباشرها بكل حزم فارضا الطاعة والإنضباط على الجميع الا أنه فشل في هذه السياسة في بيئة تعودت على التمرد والفوضى منذ وقت بعيد فغادرها هاربا

(1) يقول ابن تفرري بردي / في النجوم الزاهرة ج 5 ص 15 : وكان عدد من الذين كانوا مع المستنصر قد فروا إلى الشام ووفدوا على صاحبها بدر الجمالي وكان هذا يكره ابن حمدان

(2) - راجع ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 392 .

(3) - راجع La nation Egyptienne-Tome IV/wiet ص 245

(4) - راجع المصدر السابق

(5) - راجع مثلا : ابن الصيرفي / الإشارة إلى من نال الوزراء ص 55 - والمقريز / اتماظ الحفاج ج 2 ص 329 وكذلك ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 392 .

(6) - راجع ابن خلدون / كتاب العبر - القسم الأول - المجلد الرابع ص 134 - وكتاب عبد المنعم ماجد المذكور سابقا ص 392

بعد أن مكث فيها أكثر من سنة بقليل (1) ثم أعيد مرة ثانية سنة 458 هـ - 1066 م ليتولاها الى جانب صور بعد أن أمدته المستنصر بأموال طائلة من أجل القيام بمهمته على أحسن ما يرام (2) الا أن الجند والعامّة ثاروا عليه في هذه المرة أيضا ولعل أباي ممتدة من بعيد كانت تحرك هذه الفتنة في دمشق من أجل إضعاف متوليها وحتى يستولى عليها السلاجقة باسم العباسيين : يتحدث البعض أن ابن حمدان قائد الأتراك في مصر والذي أعلن التمرد على الفاطميين في الوجه البحري خاصة أرسل من يؤلب الناس ضد بدر ويث الفوضى في المنطقة التابعة لنفوذه في الشام وكان على رأسهم الشريف أبو طاهر حيدرة الذي يقال أيضا أن ابن حمدان وعده بالخلافة بعد أن يسيطر على الوضع في قصر نهائيا (3) .

على كل حال نجد أن بدر يغادر دمشق مرة أخرى سنة 460 هـ / 1067 م بسبب الإضطرابات التي هزت كيان هذه المدينة وكانت سببا في حرق دار الإمارة وجزء من الجامع الأموي (4) كما أن الأخبار التي وردت على بدر من عسقلان تعلمه بقتل ولده جعلت مقامة في دمشق غير مطاب . ولعل قتل ولده يدخل في نطاق المؤامرة التي حبكها ابن حمدان صعبة اعوانه ضده ... ويستقر بدر في الساحل الشامي وبالضبط في مدينة عكا التي أصبح واليها سنة 462 هـ / 1069 م (5) . الا أنه لم يغفل عن التأثير من الشريف أبي

(1) - راجع ذلك في المقرئزي / اتعاط الحنفاء ج 2 ص 270 - وابن القلانسي / ذيل تاريخ دمشق ص 91 - 92 وكذلك الكتاب المذكور سابقا ص 245 - واخير ماجد عبد المنعم المصدر السابق .

(2) - يقول المقرئزي / في اتعاط الحنفاء ج 2 ص 272 انه بلغت نفقته ألف دينار - انظر ايضا ابن القلانسي / ذيل تاريخ دمشق ص 93 .

(3) - يقول ابن تغري / في النجوم الزاهرة ج 5 ص 13 - ان ابن حمدان اتفق مع الشريف أبي الطاهر حيدرة بن الحسن الحسيني وحازم وحيد ابنا جراح على القتال بيد واعطاهم اربعين ألف دينار ووعد الشريف بوضعه في يوم ما مكان المستنصر لنسبه الصحيح راجع ايضا ذيل تاريخ دمشق / لابن القلانسي ص 93 وكذلك ص 96 و 97 .

(4) - راجع مثلا ابن كثير والنهاية ج 12 ص 93

(5) - راجع ابن تغري / ج 5 ص 16

ظاهر حيدرة الذي أفسد عليه أموره وذلك عندما كان ناظرا على الشام فقبض عليه وسلخه (1) .

ويظهر أن علاقته بدأت تتوطد بين المستنصر وبدر وهو في عكا لأنه عندما تأزمت حالة الخليفة بسبب تمرد فرق الجيش والأوبئة والمجاعات التي انتشرت في مصر أرسل أحد ابنائه ليعيش في حمى بدر ولعله حمله رسالة شفوية للاستعداد لتولي مهام الوزارة وانقاذ الدولة من السقوط (2) كما أن عددا من الذين كانوا مع المستنصر قد فروا الى الشام وهنا اتصلوا ببدر وحدثوه عن حالة مصر ولعلمهم نصحوه بالتفكير في إيجاد حل لذلك ...

وبعد هذا لعل فكرة التوجه الى مصر راودت بدر الا أنه لما عرف عليه من وضوح الرؤيا وبعد حساب لميزان القوى رأى أن يأكل رؤوس الثورة بعضهم ويضعف بالتالي امرهم بذلك يتدخل ...

وبعد قتل ابن حمدان وتسلط الأتراك على المستنصر من جديد ، وقد صادف أن الوباء توقف وتحسنت الأمور نسبيا ، أرسل الخليفة الى بدر يشكوه حاله ويَعِدُه أن يفوض اليه امر مصر ليكفيه من يعارضه فيها (3) ومن جملة ما كتب اليه :

فان كنت ماكولا فكن انت اكلي . والا فادركني ولما أمزق (4)

وقد أجاب بدر على طلبه مشروطا عليه لإلقاء القبض على كبير الأتراك المذكور وتمكينه من أن يصطحب جيشا معه يعتمد عليه في ارجاع الأمور الى مجراها الطبيعي ولعله اشترط عليه أن يفوض إليه كل السلطات : لكن هل قدم بدر هذه الشروط وهو في عكا أم عندما كان على أبواب القاهرة .

(1) - راجع ابن تغري / 5 ص 16

(2) - راجع السجلات المستنصرية ص 183 - 184 ومن ص 186 إلى 190 وانظر أيضا ابن تغري ج 5 ص 15 .

(3) - انظر ابن حجر / رفع الاصر عن قضاء مصر ص 131 - وابن الصيرفي / الاشارة ص 55

(4) - راجع ابن حجر نفس الصفحة المذكورة سابقا

على كل بعد أن درس بدر تفاصيل الحالة في مصر على ضوء الأخبار التي ترد عليه ركب البحر صحبة جيش أغلبه من الأرمن على متن مائة مركب (1) وقد فعل ذلك في وقت لم يتعود الناس ركوب البحر وهو شهر كانون (2) سنة 466 هـ / 1073 حيث تكثر العواصف خلال هذا الفصل الا أنه أقدم على ذلك . ومن هذا التحرك تظهر حيله وعبقريته فلعله يريد أن يأخذ أعداءه على حين غرة . أو لعله أراد أن يظهر انضباط وصلابة جيشه ويضع أفرادهم موضع التجربة أو ليخيف أعداءه ... على كل حال ابتسم الحظ لبدر ولم تعصف الرياح وبقي البحر هادئاً مدة أربعين يوماً وصل بعدها سالماً الى تنيس ودمياط (3) وهنا فرض على التجار مده بالمال وقدم عليه سليمان اللواتي وهو كبير أهل البحيرة وصاحب المال والجاه فاستضافه وسلمه ما طلب ودله على الطريق المؤدى الى القاهرة دون أن يفصح بدر على المهمة التي جاء من أجلها ولا أن يكشفها لمخاطبه . ونزل في قلوب بأحواز القاهرة وأرسل سرا الى المستنصر أنه لا يدخل القاهرة الا بعد إلقاء القبض على الدكر مقدم الأتراك (4) وقد وقعت المبادرة بسرعة الى تنفيذ أمره واعتقال الدكر .

وبعدا وصل بدر الى القاهرة في مظهر المسالم وأقبل على رجال الدولة مظهراً لهم المحبة منافقاً عليهم انه ما جاءهم الا بدافع الشوق ولم يذكر لهم المستنصر الا بسوء . أما الجيش الذي صاحبه فقد أخذ يدخل القاهرة وحدانا ورجالا في الخفاء حتى تكامل منهم تسمعة (5) وبعدها سيبدأ الدور الموالي الذي سيلعبه بدر في البلاد .

(1) - يذكر المقرئزي / في اتماظ الحنفاج 2 ص 311 - مائة مركب - وكذلك Wiet في 248 La nation Egyptienne

بينما يذكر ابن خلدون / في العبر القسم الأول المجلد الرابع ص 134 : وركب البحر من عكا في عشرة مراكب ومعه جند كثيف من الأرمن .

(2) - يذكر كانون بينما في السنة كانون الأول وكانون الثاني

(3) - انظر الخريطة المصاحبة للبحث .

(4) - راجع المقرئزي : اتماظ الحنفاج 2 ص 311 و 312 وكذلك La nation/Wiet ص 8

(5) - راجع المقرئزي / اتماظ الحنفاج 2 ص 312 .

بدر الجمال في مصر واستتاب الامن :

... وهكذا استكان الأمراء الأتراك الى بدر ومالوا اليه ، ولعلمهم راوا أنه جاء بقصد قيادتهم لمواصلة تمردهم . وبعد أن استضافوه بكل ترحاب جاء دوره هو وقد خطط للتخلص منهم في وليمة كبيرة (1) : وعندما أكلوا وتناولوا الخمر كلف غلماناه بالقبض على كل واحد منهم والإستحواذ على كل ما يملك ، وقد تم له ذلك كما خطط له على أحسن وجه . ثم صرف اهتمامه الى كل من شارك في الإضطرابات من وزراء وقضاة وموظفين ففضى عليهم بدون رحمة وبذلك سيطر على الموقف في القاهرة سيطرة كاملة وأصبح الجميع في طاعته (2) وبعدها خلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذئابة المرخاة والطيلسان والمقورزي القضاة (3) وأصبح يلقب بالسيد الأجل أمير الجيوش (وهو لقب كان يحمله عندما كان على ولاية الشام (4) سيف الإسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين هادى دعاء المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى وفتى المستنصر » (5) ... الا أن أهم لقب كان يرغب أن يسمى به فهو « أمير الجيوش » (6) ...

ثم جمع بين بديه أهم وظائف الدولة : فهو قاضي القضاة ، داعي الدعاة ، وزير السيف والقلم ، قائد الجيش . وهو أول وزير من العسكريين في مصر ، وقد جمع كل ذلك حتى لا يزاحمه احد .

-
- (1) - وهي وليمة تذكر بالطريقة التي تخلص بها ابو العباس السفاح من آخر الأمويين - راجع حول كل هذا في المقرزي / اتعاظ ص 312 و 248 - وابن حجر رفع الأصر ص 131 وابن الأثير / الكامل ج 4 ص 333 وأخيرا علي عبد الرزاق وممدوح حقي / في الإسلام وأصول الحكم ص 90 .
 - (2) - راجع مثلاً المقرزي : الاتعاظ ج 2 ص 312
 - (3) - راجع المصدر السابق ص 313
 - (4) - انظر المناوي / الوزارة والوزراء ص 67
 - (5) - راجع السجلات المستنصرية ص 157 و 158
 - (6) - راجع مثلاً ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 406

وقد جعل كل من يشتغل لحساب الدولة نائبا عنه ومعنى ذلك انه لا يقع شيء الا بإذنه حتى أن المستنصر أصبح من المحجر عليه الإهتمام بشؤون الحكم وبقي دوره رمزيا يتمثل في امامة الناس في الصلاة ومصاحبة أمير الجيوش في بعض المناسبات . وهكذا ظهر الادارة من أغلب موظفيها القدماء المتهاونين وأصبحت الكلمة الأولى والأخيرة في كل كبيرة وصغيرة تعود اليه .

وبعد أن اطمأن على الوضع داخل القاهرة وجه اهتمامه الى البلاد بصفة عامة حيث تقاسمتها الفرق المتمردة واستولت على أراضي الفلاحين ولم تمكن بعضها من استعمال القنوات والترع وجعلت لنفسها حق احتكار بيع الغلال دون غيرها (1) . وقد بدا بلر حملاته لارجاع الأمن الى البلاد سنة 467 هـ / 1074 م بقيادة حملة تأديبية ضد شرق الدلتا الى قبيلة لواته التي عرفها عندما نزل بمصر قادما لها من عكا ، وقد كان افراد هذه القبيلة كلهم من الفرسان وبلغ عددهم حوالي أربعين ألف (2) ويقومون بقطع الطريق والإستحواذ على أراضي الغير . ويظهر أن الحظ ساعد بلر حيث كان صدامه لأول مع سليمان اللواتي قائد هذه المجموعة الكبيرة والخطيرة وابنه فقتلها ولعل هذا مكنه من قتالهم بكل ضراوة والتخلص منهم بدون شفقة فالبعض قتل في ساحة المعركة وغرق عدد اخر وحمل منهم عشرين ألف امرأة سبايا الى القاهرة . وتوجه الى دمياط حيث يوجد فيها عدد من المفسديين ففضى عليهم وأصلح ميناء هذه المدينة . وواصل مسيرته بدون كلل نحو الغرب أين تعيش فرقة الملحية (3) وكذلك قبائل قيس وبني سنبس فكان مصيرهم مثل سابقهم وأخيرا حل ركه حول الإسكندرية التي

(1) - راجع La nation gyptienne/Wiet ص 250 .

(2) - راجع Wiet المصدر المذكور سابقا ص 250

(3) - الملحية : طائفة من طوائف العسكر في الأيام الخليفة المستنصر شاركت في الفتنة التي عرفها مصر ... راجع مثلا : المقرئ / المواعظ والإعتبار : مطبعة مثنى ج 2 ص 32

كانت قاعدة ابن حمدان في المرحلة الأخيرة من تمرده الذي اعترف فيه بسلطة العباسيين فضيق على أهلها حتى استسلموا وقدموا له الطاعة (1) .

قام أمير الجيوش بهذه الحملات على رأس جيشه المكون من الأرمن وعدد من المصريين وبذلك استغنى عن كل الفرق التي كان لها دور في الفتنة سواء كانوا من الأتراك أو المغاربة أو العبيد الخ ...

ودامت هذه الحملات التطهيرية في الوجه البحري أو الدلتا حوالي سنتين (467 / 1074 - 468 / 1075) .

وبعد أن أصبح الشمال تحت سيطرته عاد الى القاهرة ليجهز نفسه ويشد الرحال نحو الجنوب اين تنتشر أوكار المتمردين .

قصد أولا مقاطعة اخميم بالصعيد (2) اين توجد قبائل عربية تتألف من جينة والثعالبة والجعافرة (3) وكانت قواتهم تعد بعشرين ألف فارس وأربعين ألف من المشاة فتفتقت عبرية بدر العسكرية على خطة لعلها جديدة في ميدان التكتيك العسكري هو مهاجمتهم بشكل مفاجيء وفي الليل . وقد استعمل من أجل الرؤية الواضحة لاعدائه وميدان المعركة مشاعل ويظهر انه أشعل في سبيل ذلك القصب الذي تحتوي عليه المزارع وهكذا تسنى له بواسطة هذه الخطة أن أفنى أغلب أعدائه وغرقت طائفة منهم ولم ينج منهم الا القليل وصادر أموالهم وأرسلها الى المستنصر - وهذه المصادرة استعملها كجزء من محاربة أعدائه وأصاب بها هدفين : أضعاف خصومه

(1) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفاء / ج 2 ص 134 - وكذلك ما جد عبد المنعم ظهور خلافة الفاطميين ص 394 و 395 .

(2) - راجع الخريطة المصاحبة للبحث

(3) - راجع المقرئزي : اتعاظ الحنفاء / ج 2 ص 316 - وكذلك Wiet المصدر السابق ص 251 252 يقول المقرئزي في المصدر السابق بنفس الصفحة : ثم ارتحل بالليل وأمر بظرب الطبول وزعقت البوقات واشتعلت المشاعل وقد تزايد وقود النيران ... والعساكر لها صرخات وصياحات متتابعة في دفعة واحدة حتى طرقهم بفتة ووضع فيهم السيف فأفنى أكثرهم قتلًا وفرمهم طوائف ففرقوا ... »

وتغذية خزينه الدولة التي أفرغت في فترة الفتنة التي عرفتھا مصر - كما أنه للاستحواذ على جزء منها ! ...

وقد علم بعد ذلك بثورة كثر الدولة محمد باسوان الذي تغلب عليها وعلى نواحيها وكثر اتباعه فسار إليه أمير الجيوش بعساكره فالتقى به وبعد معارك طويلة قتله - أولعله سلمه اليه والي النوبة بعد أن إلتجأ اليه (1) وهزم أصحابه .

وهكذا استتب الأمن في كامل مصر بوجهيها القبلي والبحري وقد تم ذلك بطريقة عنيفة مصحوبة بالتخريب والحرق وكل الطرق المتوحشة التي تؤدي الى تصفية الأعداء وعودة الطمأنينة الى النفوس .

وبينما كان أمير الجيوش في حربه بالجنوب ضد كثر الدولة هوجمت البلاد من الشمال الشرقي من طرف السلجوقيين بقيادة اتسز (أو اطسز) وذلك بعد سيطرتهم على دمشق وقطع خطبة الفاطميين منها - ويظهر أنه شجعهم على هذا الهجوم ابن الدكر وبعض المناوئين لبدر الذين احتموا به . ولم ينتهز السلجوقيون فرصة بعد بدر عن القاهرة ليتقدموا نحوها بل مكثوا في الجزء الشرقي من الدلتا مدة يخربون ويصادرون ويضايقون السكان حتى ضاقوا بهم وكرهوهم .

ورأى أمير الجيوش وهو مشغول بحربه الداخلية ضد المتمردين أن يكرس جهده لذلك وبعدها يكون له أمر معهم . وهذا ما فعله بعد القضاء على كثر الدولة واتباعه حيث توجه الى السلجوقيين بعد أن عزز صفوفه ببعض الأعراب بقيادة بدر بن حازم كما منع ما لا يقل عن ثلاثة الاف حاج من التوجه الى الأراضي المقدسة وضمهم الى جيشه كما قام باتصالات بين أفراد جيش اتسز من الأعراب الذين أحضرهم معه . وهكذا التقى الجمعان في معركة ضارية وحدثت الخيانة من جيش السلجوقيين في الوقت المناسب - كما خطط لها - وبذلك انتهت المعركة بهزيمة السلجوقيين هزيمة

(1) - راجع المناوي / الوزارة والوزراء ص 235

شعاع فقد فيها اتسز شقيقه وعاد منكسرا (1) الى الرملة فتوجه الى القدس حيث فتحها مستعملا في أهلها السيف ولعلمهم تمردوا عندما علموا بهزيمته أمام جيش الفاطميين (2) - وقد كان لهذه الهزيمة والأعمال التي قام بها اتسز انعكاس على مصيره اذ قتل بعد أن عاد الى دمشق من طرف قتش السلجوقي صاحب حلب . ولعله بعد المعركة التي خاضها بدر ضد السلجوقيين تمرد الأعراب من قيس وسليم وفزارة فخرج اليهم أمير الجيوش وأوقع بهم وأكثر من القتل فيهم وفر من بقي منهم الى برقه (3) .

وبعد اخماد كل هذه الثورات الداخلية والقضاء على محاولة السلجوقيين في احتلال مصر استتب الأمن وعادت الحياة تدريجيا الى البلاد ولم يعكر هذا الهدوء الا ثورة قام بها الأوحى بن بدر الجمالي (4) وتحصن بالإسكندرية صحبة بعض مناصريه فحاربه والده وضيق على سكانها وصادر أموالها حيث بنى منها جامع العطارين بهذه المدينة وقبض على ابنه الذي تخلص منه منه في ظروف غامضة ...

وبعد كل هذا انهى أمير الجيوش إيامه في هدوء مهتما بتسيير شؤون الحكم بعد أن حقق السلام وأعاد الطمأنينة الى نفوس السكان الذين أصبحوا يقومون بواجباتهم اليومية والأمن يحيط بهم .

وفيما يلي سنحاول إلقاء اضواء على ما قام به بدر من تغييرات في الميادين المختلفة من أجل تركيز نفوذه وتعمير البلاد وازدهارها .

-
- (1) - راجع حملة تسز على مصر في الأثير / الكامل ج 8 ص 123 - 124 - وكذلك المقرئزي اتعاظ الحنفا ج 2 ص 32 17 .
 - (2) - راجع المقرئزي : اتعاظ الحنفا تحقيق حلمي ج 2 ص 318 مع أحداث 469 هـ 1076 م
 - (3) - راجع المقرئزي المصدر السابق ص 321 مع أحداث 477 هـ / 1084 م
 - (4) - وكانت هذه النيابة تذكر في الوثائق الرسمية وفي عقود الزواج - راجع تطور القضاء عند إبراهيم . ح / تاريخ الدولة الفاطمية من ص 306 - 314 وراجع المقرئزي / المصدر السابق ص 313 وكذلك السجلات المستنصرية ص 60 - 61 و ص 106 إلى 108 وراجع ابن العيرفي الإشارة إلى من نال الوزارة ص 56 .

اصلاحات امير الجيوش :

1 - الإدارة : بعد الفوضى التي تعرضت إليها مصر والتي لم يكن فيها للوزير ولا للإدارة دور يذكر حضر بدر الجمالي الى مصر في وقت كان الخليفة المستنصر قد تجاوزته الأحداث فتولى الوزارة التي منها تمكن من تطهير الإدارة من كل معارض أو من شارك في الأحداث وعوضهم بالمطيعين والمنتشين دون غيرهم وفرض نفسه بموافقة الخليفة الذي ليس له الخيار الا أنه وجد فيه الرجل الذي يمكن أن ينقذ الدولة من الإنهيار .

وحتى يشرف على كل النشاطات الادارية أخذ بدر يضم اليه كل الوظائف الحساسة في الدولة التي تجعل منه الحاكم الفعلي : اصبح داعي الدعاة يهتم بانتشار المذهب الإسماعيلي ويعين الدعاة الأكفاء ليقوموا بهذه المهمة ، كما تولى منصب قاضي القضاة وجعل القضاة نوابا عنه (1) وعين نفسه قائدا للجيش الذي هو مصدر قوته لما فيه من أفراد مخلصين .

حمل بدر ألقابا كثيرة تدل على سلطاته الواسعة : فهو سيف الإسلام ناصر الإمام - الى جانب الألقاب التي ذكرناها سابقا - و أب الخليفة وأم هذا الأخير أبنته بل هو قلب أمير المؤمنين وعينه (2) وحمل زيا خاصا يدل على جمعه للسلطة الزمنية والدينية - وقد تعرضت إليه قبل هذا .

كما جعل اسمه يذكر في العقود المختلفة مثل الزواج وغيره ونقش اسمه وألقابه على الطرز والمباني والنقود التي بنى لها دارا للضرب بالإسكندرية (3) وصدرت التعيينات في الوظائف المختلفة عنه . وليعبر على ميله للحكم

-
- (1) - وكانت هذه النيابة تذكر في الوثائق الرسمية وفي عقود الزواج - راجع تطور القضاء عند ح . ابراهيم . ح / تاريخ الدولة الفاطمية من ص 306 - 314 - وراجع المقرئ / المصدر السابق ص 313 وكذلك السجلات المستنصرية ص 60 - 61 ص 106 - 108 - وراجع اخيرا ابن الصيرفي / الإشارة الى من نال الوزارة ص 56 .
- (2) - راجع ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 405 .
- (3) - انظر الجلول الذي وضعه ح . ابراهيم ح / تاريخ الدولة القاطمية ص 291 .

الفردى واستقلاليته بنى دارا خاصة للوزارة هي دار المظفر بحارة بروجوان (1) التي كانت تحتوى على الدواوين المختلفة . كما جعل الوزارة وراثية في عقبه بأن عين ابنه الأفضل لخلافته (2) وهذا ما تم بموافقة الخليفة ودون معارضة تذكر .

وحتى يكون الحاكم الوحيد في البلاد حجر على الخليفة كل تسيير لشؤون الحكم ولم يترك له غير الخروج على رأس المواكب في الأعياد والمناسبات وحتى هذه الحالات فقد كان أمير الجيوش بصحبته (3) . وحتى يكون ثروة يمكن أن يستفيد منها ورثته استطاع الإستحواذ على اقطاعات كثيرة تحصل عليها عن طريق المصادرة وغيرها .

وهكذا من السلطات التي استولى عليها ومن الألقاب التي حملها يمكن القول أن بدر الجمالي جعل نفسه خليفة غير متوج ! بينما المستنصر يملك ولا يحكم وقد استمرت هذه السنة بدون شذوذ يذكر حتى نهاية الدولة الفاطمية وبذلك فتح بدر للذين جاءوا بعده الباب ليكونوا الحكام الحقيقيين في البلاد —

ومن الإدارة المركزية وجه بدر اهتمامه الى الولايات — بالرغم من عدم وجود معلومات مفصلة حول هذا الموضوع فإنه يظهر مما عثرنا عليه مختصرا هنا وهناك أن أمير الجيش حافظ على مراكز الولايات المعروفة دون اضافة أو نقصان . وهذه الولايات التي أقرها بدر هي (4) الشرقية (شرق فرع دمياط) — والغربية — والإسكندرية (يضاف اليها البحيرة) — مدينتا تنيس وعيذاب كان لكل واحدة منهما وال نظرا

-
- (1) — راجع المقرزي / الخطط / دار صادر / ج 2 ص 52 .
 - (2) — راجع مثالا المقرزي / اتماظ الحنفا / تحقيق حلمي ج 2 ص 321 — والسجلات المستنصر مع احداث 479 هـ — 1086 م من ص 94 — 97 .
 - (3) — راجع السجلات المستنصرية ص 74 ، 75 ومن ص 94 الى 97 .
 - (4) — راجع الخريطة .

لأهميتهما التجارية (1) وأخيرا يوجد على رأس كل من القاهرة والفسطاط والـ وللوالى الحرية فى تعيين العمال على المدن والنواحي والقرى الداخلية فى نطاق ولايته . ويظهر أن بدر منح الولاية الاستقلال والقوة حيث نجدهم فيما بعد يشاركون فى الصراع من أجل الحكم ...

وأما التحويلات التى أجراها بدر فى هذا الميدان فقد تعلقت بما داخل الولايات حيث زاد فى عدد الأعمال بان جعلها واحدا وعشرين عملا (2) بمعنى مديرية أو محافظة وقسم هذه الأعمال الى نواح والنواحي الى كفور وقرى - وقد اختفت كلمة كورة جمع كور (3) التى تعادل الأعمال فى التقسيمات الإدارية حتى أن مجموع النواحي والقرى وصل - كما يذكر ذلك حسن ابراهيم حسن عن أبى صالح الأرمنى (4) - بين الوجه القبلي والبحرى الى عدد الفين واثنين وستين . ومن خلال هذه الزيادة فى التقسيمات يظهر أن بدر أراد تشديد المراقبة على البلاد أو لعلها من أجل تسهيل علاقة السكان بالإدارة وجعلها قريبة منهم أو لعله من أجل الإهتمام بالإصلاحات اللازمة بعد الإضطرابات التى عرفتها البلاد .

2 - الجيش :

وأما بالنسبة للجيش مصدر قوة بدر - وهو الذى استولى به على الحكم وصفى به اعداءه فقد وضع نفسه على رأسه ، وقاده فعلا - خاصة فى حروبه الداخلية . وجعل الأرمن أبناء جنسه هم السائدون فيه وهم الذين عرفوا « بالجيوشية » ، (نسبة الى أمير الجيوش والذين أسكنهم حارة الحسينية

-
- (1) - راجع سرور / مصر فى عصر الدولة الفاطمية ص 185 .
 - (2) - انظر ماجد عبد النعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 399 - وكذلك المناوي / الوزارة ص 6
 - (3) - الكورة فى لسان العرب هي المدينة والصقع وجمعها كور . راجع مادة كور لسان العرب
 - (4) - راجع ح . ابراهيم . ح / تاريخ الدولة الفاطمية ص 290 الذى ينقل عن كنائس واديرة مصر مفقود .

التي كانت للسود (1) . وقد صحبه البعض من هؤلاء الأرمن عند قلوبه من عكا باستدعاء من المستنصر كما التحق به عدد اخر بعد سيطرة السلجوقيين على المناطق التي كانوا يعيشون فيها . وقضى امير الجيوش تقريبا على كل الطوائف التي كان يتألف منها الجيش الفاطمي من مغاربة وأتراك وأصبحنا بدايه من عهده نسمع بالحندي المصري والأمراء المصريين (2) فهل هذا يعني أنه التجأ الى تجنيد بعض الفلاحين المصريين حيث وجد فيهم الطاعة (3) التي اشتهروا بها متى وجدوا القيادة الحكيمة . وهكذا جعل بدر الجيش منضبطا لا تنافر بين أفراده . ولو أننا لا نملك معلومات إضافية عن قوته في عهده الا أنه من الحملات التي قام بها داخليا وخارجيا ومن بعض الطرق العسكرية التي توخاها في محاربة أعدائه — وقد وقفنا على بعضها التي أثبتت نجاعتها — نستطيع من كل هذا أن نفهم المستوى الذي كان عليه الجيش !

وقد اهتم بدر ببناء المناظر وجعلها ظاهريا لتوديع الجيش الا أن لها علاقة استراتيجية تمثل في مراقبة قلوب محتمل للاعداء (4) ويدخل تحصين مدينة القاهرة أيضا في سياق هذه السياسة كما سنرى .

3 - تعمير البلاد :

ما ان فرغ أمير الجيوش من القضاء على التمرد حتى وجه عنايته الى اعادة تعمير البلاد التي خربت وذلك ليعطي بديلا للفوضى ولينال رضا السكان ويحصن البلاد خشية من هجومات محتملة وبهذا العمل يكون قد سجل اسمه وعهده على هذه التغييرات شأنه في ذلك شأن القادة والأقوياء الذين يصلون الى الحكم بعد فترة من الفوضى . كما تعبر هذه الإنجازات على الأمن والرخاء اللذين عرفهما الفاطميون اثناء حكمه .

فهذه المنشآت كثيرة يطول بنا الحديث لو أردنا تعدادها والتعليق عليها الا أننا سنقتصر على بعضها والذي يحمل طابعا خاصا :

- (1) - راجع مخطط القاهرة المصاحب للبحث
- (2) - راجع الناي / المصدر السابق ص 177 - 178 وكذلك ماجد / المصدر السابق
- (3) - راجع كتاب :
- (4) - راجع حسن ابراهيم حسن / تاريخ الدولة الفاطمية ص 534 .

فأهم شيء هو بناء سور يحيط بالقاهرة خاصة وأن السور الذي بناه جوهر الصقلي عند بناء القاهرة تهدم جزئيا ولاصقه السكان بالبناء كما أن هذه المدينة وجدت في الأصل لتشتمل على قصور الخلفاء وما تبعها (1) . لذلك رأى بدر إعادة بناء السور في غير المكان الذي شيده جوهر بشكل يجعل المدينة أوسع من ذي قبل (2) أو لعله فكر في تحصين المدينة ضد عدوان محتمل . شرع في تحقيق هذا المشروع سنة 480 هـ / 1086 . أي بعد أن استقرت له الأمور نهائيا في البلاد . وبناءه من لبن كما فعل جوهر ولم يحدثنا المؤرخون انه جاء فيه بجديد يذكر ما عدا ما يورده حسن ابراهيم حسن من أن مساحة المدينة زادت ستين فدانا (3) ولتعمير المساحة المضافة اذن لبعض السكان والطوائف مثل الملحية والأرمن وغيرهم من نقل انقاض البناءات المهتمة بالفسطاط والقطائع (وهما مدينتان وقع بناءهما قبل القاهرة) والتي اختفى اصحابها وهذا ما تم فعلا (4) .

أما التغييرات الهامة التي أحدثها بدر فتتعلق بأبواب المدينة : فبابا زويلة من جهة الجنوب دمجاً في باب واحد بني بحجر من الحجم الكبير وعوض أن تكون له ماثورة (5) أو انعطاف يمنع العسكر من الهجوم علاه بالأبراج وجعل له زلاقة (6) من حجارة الصوان حتى اذا هجم الجند لم

(1) - راجع سيرة القاهرة / ترجمة حسن ابراهيم حسن / ص 143 - 144

(2) - راجع مخطط القاهرة المصاحب للبحث

(3) - راجع حسن ابراهيم ج / تاريخ الدولة الفاطمية ص 530 - الذي يذكر في نفس الكتاب وفي ص 547 ان الفدان يساوي 5529 م² . وقد قرأت في موضوع بعنوان « الباب الدامي في مجلة العربي » ان بدر الجمالي مد مساحة القاهرة بمقدار 150 مترا (مائة وخمسين مترا) الى شمال السور القديم وحوالي ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب / راجع مجلة العربي عدد جوان 1980 - موضوع « الكتاب الدامي » لجمال الغيطاني ص 66

(4) - راجع التبراي حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين ص 154

(5) - راجع باشورة ج بواشير في اللوزي الذي يعبر عنه بقلعة صغيرة .

(6) - راجع معناها في اللوزي - انظر هذا الموضوع في المقريري / الخطط / صادر

تثبت قوائم الخيول على الصوان لملاسة كما يقول اتعاظ الحنفا (1) ولم تزل هذه الزلافة باقية الى أيام الملك الكامل محمد بن العادل فأمر بنقضها (2) .

وبالنسبة لبابى الفتوح والنصر في جهة الشمال (3) فقد نقلهما من المكان الذى شيدهما فيه جوهر الى مواقع قريبة وجعل لهما باشورات وأبراج . وكل الأبواب المذكورة مازالت قائمة الى الآن حاملة اسم بدر الجمالي ولو أنها أصبحت داخل المدينة ويرى البعض أنها من صنع ثلاثة أخوة من مدينة الرها أوادسا (4) استقدمهما بدر لإنجاز هذا العمل بينما يذكر عبد المنعم ماجد نقلا عن أبي صالح الأرمني (5) أن راهبا قبطيا اسمه حنا هو الذى قام بذلك . ومهما تكن الأيدي التى صنعتها فإن هذه الأبواب بإجماع المؤرخين تحمل طابعا بيزنطيا يوجد مثله في قينا والقسطنطينية وغيرها (6)

كما شيد بدر وأصلح وعمر عددا من المساجد نذكر منها على سبيل المثال جامع العطارين بالإسكندرية — بعد القضاء على ثورة ابنه الأوحى — ومسجد النصر بأسوان بعد اخماد ثورة كثر الدولة (7) — وجامع المقياس — كما عمر جامع احمد بن طولون وغيره .

ومن أبرز ما وقع في عهد بدر هو بناء المشاهد فوق مدافن العلويين وكمثال على ذلك نذكر المشهد الجيوشى على جبل المقطم الذى نقش عليه « انشا هذه الزاوية مولى امير المؤمنين الإمام المستنصر بالله امير الجيوش في المحرم من سنة 478 » (8) ، وتسمى العامة هذا المشهد « بسيدنا الجيوشى »

(1) - راجع المقرزى / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 327

(2) - راجع سيرة القاهرة ص 143 - 144 .

(3) - راجع فيات Les mosquées du Caire/Wiet ص 101 - 102

(4) - يرد هذا الاسم في المحلة التاريخية المصرية لسنة 1971 المجلد 18 ص 136 - 37

(5) - راجع ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين ص 400 الذى ينقل هذا الموضوع عن ابي صالح الأرمني صاحب كتاب كنائس واديرة مصر (الذى لم اعثر عليه في مكتباتي)

(6) - راجع مثلا البراوي / حالة مصر الاقتصادية / ص 154

(7) - راجع مثلا ابن حجر / رفع الاصر عن قضاة مصر / ص 1 ص 132 .

(8) - راجع ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين / ص 284 - انظر وصف

هذه الزاوية في سعاد ماهر / مساجد مصر وأولياؤها ج 1 من ص 282 - 284

وثرى أنه مدفون فيه . وبالرغم من صغره فقد اشتمل على مميزات معمارية حيث دعمت الواجهات بدعامات مربعة انتهت من أعلاها بقباب صغيرة اقتصر ظهورها على هذا المسجد (1) .

ومن هذه المشاهد نذكر الشهيد الحسيني بعسقلان الذي دفن فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب - ويقال أنه شرع في انجازه بدر - وهذا ما يكشف عليه نص منقوش على منبر الشهيد - ثم أكمله الأفضل بن بدر الجمالي (2) وهناك أيضا مشهد رقية ونفيسة (3) الخ ...

وفي هذه المشاهد والمساجد ظهرت تطورات معمارية مثل احلال الحجر مكان الآجر وزخرفة الواجهات وتهذيب المنارة وارتفاع القبة ونقش داخلها وتحول من بساطتها الى تضييع ظاهرها (4) .

ونختم هذا العنصر بأن نذكر على سبيل المثال ايضا بناؤه لدار الوزارة التي عرفت بدار المظفر داخل باب النصر - وقد انجزها ليكون مستقلا في تسيير شؤون الدولة (5) وأغلب ماشيده بدر سجل عليه اسمه وتاريخ انجازه مثل أبواب القاهرة وبعض المشاهد .

وفي نطاق تعميره للبلاد اهتم بالفلاحة التي تعتبر اهم مورد في البلاد من القديم - وقد امتد اليها التخريب وضعف انتاجها الى حد كبير اثناء الفتنة التي سبقت قدومه الى مصر - فمد الجسور وبني الترع وأصلح

(1) - راجع المناوي و الوزارة والوزراء ص 128 - انظر الصورة المصاحبة للبحث

(2) - راجع سعاد ماهر / مساجد مصر ج 1 ص 375

(3) - هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب : دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق وكانت صالحة تقية سمع منها الشافعي الحديث ، ولما مات ادخلت اليها جنازته فصلت عليه وتوفيت في شهر رمضان سنة 208 هـ - راجع في ذلك هامش ص 656 في ح . ابراهيم ح / تاريخ الدولة الفاطمية .

(4) - راجع المناوي / الوزارة والوزراء ص 128 - وانظر المصاحبة للبحث .

(5) - راجع مثلا المقرئزي / الخطط / دار صادر ج 1 ص 438 . والقلقشندي / صبح الاعشى ج 3 ص 347 .

القنوت - بمساعدة الفلاحين مما جعل الحياة تعود اليها خاصة وأن المياه كانت متوفرة ولم يحدث انخفاض يذكر في مستواها خلال حكمه . وحتى يشجع الفلاحين ويمهلهم ليقفوا على أرجلهم بعد الشدة اعفاهم من دفع الخراج لمدة ثلاث سنوات وفي السنة الرابعة سمح بجباية النصف منه فقط ، ثم صار بعد ذلك يستوفي الخراج كاملا بعد أن عمست الأرض كلها (1) وقد أباح زراعة الأرض التي مات أصحابها وليس لهم ورثة (2) وهي الأراضي التي هلك أو اختفى أصحابها خلال الأحداث المعروفة . وبهذه السياسة زادت المساحة المزروعة بأن أصبحت كما يقول ح . ابراهيم ح 765250 فداناً وقد كانت في عهد المعز لدين الله الفاطمي 285714 فداناً (3) . وقد بلغت مداخل الدولة من الخارج بعد أن أصبح يجبي كاملاً ثلاثة ملايين ومائة دينار وذلك سنة 483 هـ / 1090 م وقد كان مقداره من قبل أقل من ثلاثة ملايين دينار (4) .

وبسبب الهدوء الذي عم البلاد وبتشجيع من أمير الجيوش عاد التجار والأغنياء الذين هاجروا البلاد أثناء الإضطرابات ومعهم عاد النشاط إلى التجارة من جديد فتوفرت البضائع المختلفة ويظهر أن ذلك يعود أيضاً إلى إعادة استعمال الخليج الحاكم بين النيل والبحر الأحمر الذي اضمحل أثناء الشدة (5) كما أن إشارة البعض إلى خلوث تخفيض في المكوس المدفوعة على الإستيراد والتصدير كان له انعكاس على هذا الإزدهار (6) .

- (1) - راجع مثلاً ابن حجر / رفع الأصر / ج 1 ص 134
- (2) - مطبقاً في ذلك : الأرض الذي يحرقها أو الذي يحييها .
- (3) - راجع ح ابراهيم ح / تاريخ الدولة الفاطمية ص 279 - 568 . بينما يقول البراوي في حالة مصر الاقتصادية ص 31 : أن معدل مساحة الأرض المزروعة والقابلة للزراعة إذا وصلها ماء الفئضان وكان الأمن مستتباً تقدر بثلاثة ملايين فدان ...
- (4) - راجع المقرئزي / الخطط / دار النشئ ج 1 ص 100 . والبراوي / حالة مصر الاقتصادية ص 30 وكذلك ظهور خلافة الفاطميين / ماجد عبد المنعم ص 398 و 399 .
- (5) - راجع ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة مصر ص 339 .
- (6) - استنتجت ذلك من ح . ابراهيم ح / تاريخ الدولة الفاطمية ص 550 حيث يقول : أن ما يجبي من مكوس من تجار الروم الوافدين كان 35 دينار عن كل 100 دينار ثم انخفض في أواخر العصر الفاطمي حتى بلغ 20 ديناراً عن كل 100 دينار ...

وكانت نتيجة هذه السياسة انخفاض الأسعار الى درجة أن تليس القمح أصبح يباع بربع دينار (3) وهذا عكس ما كان عليه أيام الشدة حيث وصل كما رأينا الى حد الخيال .

ويحدثنا البعض أنه بسبب انتشار الأمن وتوقف الوفيات الناتجة عن الاولثة والمجاعات فإن التزايد السكاني سيعود الى سالف عهده (4) .

ونتهي الحديث على الإقتصاد والأرض ان قطعاً كثيرة من هذه مات أصحابها ولم يعرف لهم ورثة مما جعل الحكومة تستولى على بعضها وتبيع استغلال البعض الآخر للراغبين كما رأينا - وبذلك زادت مساحة الأرض الدولية وأصبح يمنح بعضها على شكل اقطاعات وقد حصل أمير الجيوش من ذلك على الكثير من أجل تحبيسه على ورثته .

وهكذا عادت القاهرة ومصر بصفة عامة الى سالف عهدها من الإردهار بل وعلى نطاق أعزر وأوسع من ذي قبل (5) .

سياسة بدر الدينية :

نعرضنا في فصل سابق الى أن الدعوة الفاطمية انقطعت خاصة من شمال مصر على يد ابن حمدان الذي دعا للعباسيين وأرسل الى الب ارسلان من أجل مساعدته ويظهر أنه حاول تلبية طلبه الا أن هجوم الروم حال دون ذلك أما في القاهرة فإن الحالة لم تكن تساعد على استمرار دروس الدعوة : فقد كان المتطاولون على المستنصر تهمهم محتويات قصوره أكثر من مذهبه . وهكذا ضعفت الدعوة التي تهدف الى تثبيت التفكير الفاطمي في أذهان الناس وتكوين دعاة يعملون على نشر ذلك .

(3) - راجع ميلا السنواوي / الوزارة والوزراء ص 146

(4) - راجع البراوي / حالة مصر الإقتصادية ص 34 - 35

(5) - وصل الخراج في عهد الأفضل إلى 5 ملايين دينار - راجع البزاوي / حالة مصر الإقتصادية ص 30 .

أما بدر الجمالي الذي أُسند لنفسه مهمة داعي الدعوة كما رأينا فقد قرر إعادة الهبة الى الدولة ومعها ترسيخ المبادئ الفاطمية ونظم من جديد دروس المذهب الفاطمي المعروفة بالباب أو باب الدعوة وقد كانت تلقى في بعض المساجد والقصور (1) ولا تحدثنا الكتب على تفاصيلها كما كان في عهد العزيز ومع وزيره ابن كلس خاصة وكذلك مع الخليفة الحاكم يأمر الله ، كما لا نشير الى مصير الكتب التي وفرها ابن كلس وغيره ومد بها الدعوة كمراجع للدروسهم خاصة وان المتمردين على المستنصر طالبوه في وقت ما باخراج بعض الكتب للاستفادة بما فيها من معدن ثمين (2) .

أما ما هو واضح في الموضوع هو أن بدر الجمالي رجع الى موضوع الدعوة من جديد بعد أن تزعزت أركانها خلال الشدة العظمى . وحتى يظهر أنه يستمد أفكاره - نظريا - من المستنصر وليس مغتصبا للسلطة كما يتبادر للبعض لقب نفسه « ببدر المستنصري » أو لعله بهذا الاسم يريد أن يستمد اراءه من توجيهات الخليفة ! أو لعله أراد أن يثبت أنه يعادل المستنصر وبالتالي يتحلى بصفاته من عصمة الإمام وغيره ...

على كل حال الى جانب موضوع الدعوة اتخذ في تركيب الأفكار الفاطمية وذلك بتضيفته لكل مناوئ لهذا التفكير وعلى رأسهم القضاة والسنين المشهورين (3) . كما أعاد للاذان بعض العبارات المستعملة مثل « حي على خير العمل ومحمد وعلي خير البشر » وما يتبع ذلك من بعض الاستعمالات التي أحدثها الفاطميون في الصلوات منذ جاءوا الى مصر وأمر بالتكبير على الجنائز خمسا (4) وظهر تعصبا للشيعه الى درجة انه كما يذكر ابن تغري بردي (5) أمر بنقش سب الخلفاء والصحابة وكانت هذه

-
- (1) - راجع موضوع الدعوة عند المقرئزي / الخطط / دار صادر / ج 1 ص 391 .
 - (2) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحفا / ج 2 ص 294 - 295 .
 - (3) - راجع ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة / ج 5 ص 120 .
 - (4) - يكبر على الجنائز حسب اهل السنة اربعا - راجع هذا الموضوع مثلا في فتح الباري يشرح الإمام البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ج 3 ص 202
 - (5) - راجع ابن تغري البردي / النجوم الزاهرة ج 5 ص 120

العادة قد برزت في عهد الحاكم بأمر الله ويعود ذلك الى أقتناعهم بأن الخلفاء الراشدين الأوائل اغتصبوا الحكم وكان علي ابن ابي طالب اولي به كما يأخذون على بعضهم اساءة معاملة فاطمة بنت الرسول ...

وحتى يعبر على تشيعه وليجعل مصر والدولة الفاطمية قبلة للمتعاطفين مع العلويين بنى مشاهد لبعض اقطاب هؤلاء لتكون مزارا للراغبين وقد تعرضنا لعدد منها في عنصر سابق .

أما خارج مصر فقد عاد لربط علاقات مع الصليحيين في اليمن وله مراسلات متتابعة مع هؤلاء وردت في « السجلات المستنصرية » التي تمتد قادة هذا البلد بكل جديد يطرأ في مصر وتذكر بمناقب امير الجيوش وكيف أن الدولة بعثت من جديد بفضله وتطلب ضرورة العودة اليه للمشورة والنصيحة والى الإهتمام بتفقيه الناس وتذكيرهم بعقاب الله (1) كما تشير الى رسل قاموا بمهمات بين الدولتين (2) . وهذه المراسلات تظهر باختصار مدى تأثير بدر على هؤلاء وانتشار المذهب الفاطمي في مناطق بعيدة مثل الهند وعمان وعودة دفع النجايي (3) بعد أن قطعت للأسباب المعروفة - وهي مساعدات يقدمها المؤمنون بالمذهب الشيعي وتراوح بين ثلاثة دراهم وثلاث وثلاثة وثلاثين دينار وثلاثي دينار .

وما عدا المناطق المذكورة فان الكتب لا تتحدث بشكل واضح على الدعوة في الاراضي التي بقيت تحت سيطرة الفاطميين مثل الساحل الشامي المهم ان الخطبة استمرت تلقى باسمهم فيها .

(1) - راجع السجلات المستنصرية من ص 177 الى 179

(2) - راجع السجلات من ص 122 إلى 125 .

(3) - النجايي مفردها نجوى وقيمتها الدنيا ثلاثة دراهم وثلاث الا ان سراً الأساعلية يدفعون أكثر من ذلك ويمتاز هؤلاء بأن تسلم لهم رقعة باضاء الخليفة فيها ما يأتي : بالله فيك وفي مالك ووليك ودينك « فيدخرون ذلك ويفتخرون به - راجع المقرئزي / الخطط دار صادر / ج 1 ص 391 - راجع الإشارة إلى عودة دفع النجايي والقطر والزكوات في السجلات 189 - 190

وما دمنا نتحدث عن الدعوة فإنه يجدر بنا أن نشير الى خطأ قد يكون اقترفه بدر الجمالي وسيكون له تأثير على انقسام الدعوة في المستقبل : وهو قبضه على الحسن ابن الصباح (1) الذي قدم مصر في عهده وزج به في السجن لا لسبب واضح . لعل ذلك يعود لجرأة هذا الأخير وتعصبه ، أو لعله خاف من مزاحمته له فتصرف بهذا الشكل المهم في هذه الحادثة أن الحسن بن الصباح ادعى فيما بعد أن المستنصر كان أعلمه باسم ولي العهد وهو نزار الذي وقعت تحيته عن الحكم من طرف الأفضل بن بدر الجمالي لفائدة أخيه المستعلي وهكذا دعا ابن الصباح لنزار وعادى الأفضل (2) ، فهل هذا ثار للمعاملة السيئة التي لاقاها من والد هذا الأخير ...

وكما نظم بدر أمور الدعوة فقد اهتم بشؤون الأقباط في مصر : حيث حدد مقدار الجزية التي يدفعونها بدينار وثلث أو ربع (3) إلا أنه استمر تمييز القبط عن بقية السكان بلبسهم زنابير سود ومن خالف ذلك يضاف الى زناره طرف أصفر (4) وقبض مرة على بطريك الأقباط عندما علم أن ملك الحيشة أساء معاملة المسلمين وأن ملك النوبة هدم مسجدا . إلا أن علاقته بالأقباط كانت طيبة في الجملة حيث نجده ينصح الاساقفة بعدم الوشاية ببعضهم وبطاعة بطريركهم — كما ظهرت هذه العلاقة الطيبة بالمسيحيين في استقباله لملك النوبة سلمون عندما تنازل عن الحكم لفائدة ابن اخته (5) وهو الذي يساعده من قبل في تسليمه كثر الدولة بعد التجائه إليه على اثر الثورة الفاشلة التي قادها في أسوان — فاستقبل الاستقبال الحسن وأسكنه المكان اللائق . ويظهر تسامح بدر أيضا مع المسيحيين في أنه لم يفرض على بعض الأرمن الوافدين عليه اعتناق الاسلام بدليل أن البعض يحدثنا أنه وضع كنيسة ويطريركا تحت تصرف هؤلاء (6) .

(1) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 323

(2) - راجع النواوي / الوزارة والوزراء ص 136 - 137 .

(3) - راجع مثلا ماجد عبد المنعم / ظهور خلافة الفاطميين / ص 403 .

(4) - راجع ماجد / المصدر السابق / ص 403 .

(5) - راجع نفس المصدر .

(6) - راجع مثلا فيات La Nation Egyptienne/Wiet ص 248 .

وهكذا يظهر لنا أن بدر كان رجل دولة دفعته مصلحتها الى التصرف وفق ظروفها فمثلا عندما كان في حاجة الى مقاتلين اثناء حربه ضد السلجوقيين بقيادة اتسز أرغم الحجاج على الإنضمام الى جيشه - ومصلحة الدولة جعلته متشيعا متعصبا - ولو أنه كان مدافعا على المسلمين بصفة عامة - ومصلحتها أخيرا دفعته الى التسامح مع الأرمن لحاجته إليهم من أجل تقوية جيشه وشد أزره وهم أبناء جنسه - وكذلك مع أهل الذمة بصفة عامة والى حد ما .

سياسة بدر الجمالي الخارجية :

ان هدف الفاطميين من وراء نقلهم عاصمتهم من المغرب الى القاهرة هو أن يوجدوا في الموقع المناسب الذي يجعلهم يهددون الدولة العباسية والقضاء عليها باعتبارها مغتصبة للخلافة حسب رأيهم - وقد عبر المعز لدين الله على هذا الطموح اثناء استقباله لرسول الروم (1) . وقد توصل الفاطميون فعلا الى جعل حدودهم متاخمة للعباسيين بسيطرتهم على الشام واقامة الدعوة هنا وهناك لفائدتهم ومحاولة انصارهم الاستيلاء على الحكم في بغداد نفسها كما حدث مع ثورة البساسيري في أواسط القرن الخامس للهجرة الا أن التفكير في تحقيق هذا الهدق لم يتواصل بسبب المشاكل الداخلية التي عرفتھا مصر بداية من عهد الحاكم بأمر الله . وقد جاءت الأحداث الدولة الفاطمية الى الانكباب على حل هذه المشاكل وخاضة في عهد المستنصر وبذلك أهمل نسبيا موضوع الإهتمام ببعض الممتلكات الفاطمية ...

وعلى الان تعداد مظاهر سياسة بدر الخارجية بعد سيطرته على الموقف داخل مصر .

1 - الشام - انتهز السلجوقيون فرصة انشغال بدر الجمالي بالقضاء على المتمردين الذين تقاسموا السلطة فأخذوا يسيطرون على المدن الشامية :

(1) - راجع مثلا ابن أبي دينار / المؤنس في أخبار افريقية وتونس / ص 64

حيث استولوا على حلب . وحاصر شكل التركي احد الأتراك الواصلين من العراق الى الشام. ثغر عكا سنة 467 هـ / 1074 وأخذاه بالسيف وكان فيها أولاد أمير الجيوش بدر وأهله وحرمه فأحسن إليهم وأكرمهم وقتل والي عكا ، ثم سار منها فتزل على طبرية وأخذها (1) ! أما أهم كسب حققه هؤلاء الأتراك فهو استيلاء احد قادتهم اتسر (أو اطسز) بن ارتق الاقيسيس على دمشق وأخذها بعد حصار دام ثلاث سنوات - وقد كان عليها أحد الولاة الفاطميين الذي كرهته الرعية هو حيدرة بن ميرزا الكتامي (2) . وبسبب تشجيع من المعارضين لحكم بدر من أمثال ابن بلدكوش الفار من مصر - أو لعله كان يعلم بوجود أمير الجيوش في الجنوب بصدد اخماد بعض الثورات توجه اطسز الى مصر على رأس جيش طمعا في احتلالها الا أنه كما رأينا مع العنصر المتعلق باستتباب الأمن في البلاد كيف أن هذا التركي لم يستغل الظروف لصالحه مما مكن بدر بشيء من التخطيط والدهاء والجرأة أن يهزمه شر هزيمة سنة 469 هـ / 1076 م وعاد على اثرها الى الشام ليستقم من بعض المدن التي تمردت عليه - معبرة في ذلك على حينها للحكم الفاطمي - مثل القدس (3) وقد استغل بدر الضعف الذي عليه اطسز فسير جيشا من أجل استرداد دمشق فحاصرها سنة 470 هـ / 1077 م ثم ارتحل عنها بغير طائل وعاد اليها مرة اخرى سنة 472 هـ / 1079 م فاستنجد صاحبها بتاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي بحاكم حلب - وكان قد اقطعها اياه اخوه ملكشاه - وعندها انسحب جيش بدر عائدا الى مصر فقدم تتش على دمشق ودبر حيلة قتل فيها اطسز بسبب هزيمته في مصر أو لسوء سيرته في الرعية بعد ذلك (4) .

وهكذا خرجت دمشق عن طاعة الفاطميين نهائيا ، ويظهر أن بدر يتش من استرجاعها بسبب قوة السلجوقيين اولانطباعات سيئة يحملها على هذه

-
- (1) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 314
 - (2) - راجع المصدر السابق ص 315 .
 - (3) - راجع المصدر السابق ص 317 - 318 - وكذلك ابن الأثير / الكامل / مطبعة القاهرة ج 8 ص 123 - 124
 - (4) - راجع مثلا المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 319 - مع أحداث 470 هـ / 1077 م

المدينة فركز هجوماته على الساحل الشامي وهي المنطقة التي يعرفها جيدا والأقرب الى مصر ، ففتح جيشه ثغور صور وصيدا أولا ثم جبيل وعكا وبعليك يضاف الى ذلك دخول حمص وطرابلس الشام في الطاعة . وفي الأثناء حاول حاكم دمشق السلجوقي تتش الثقب الى بدر بمصاهرته لعل ذلك من أجل كسب وده أو لغرض آخر على كل حال لم يتحقق هذا المشروع وقد كان لقاضي طرابلس ابن عمار دور في ذلك (1) ...

وعند وفاه بدر ترك الفاطميين متمركزين بالساحل الشامي كله تقريبا بالرغم من محاولة تمرد قامت في مدينة صور سنة 486 هـ / 1093 م قضى عليها جيشه كالعادة بكل عنف مستعملا في ذلك المصادرات كسلاح انتقامي (2) .

2 - اليمن : ان التشيع في اليمن يعود الى وقت سابق حيث التجأ اليه الزيديون ثم اصبحت منطقة خصبة للدعوة العبيدية عندما كان مركزها في سلمية . وفي عهد المستنصر وجد الفاطميون في علي الصليحي - الذي تحول الى المذهب الإسماعيلي بتأثير من داعي دعاة الإسماعيلية في اليمن عامر بن عبد الله الرواحي (3) - داعيا نشيطا وقويا استطاع الاستيلاء على الجبل والسهل ، وقد وجد التشيع في نشر الدعوة من الوزير أبي محمد اليازوري الذي قدم له المساعدة اللازمة لتحقيق اهدافه . وبعد قتل الوزير المذكور والصليحي استمر الولاء للفاطميين بين مد وجزر وبدون حماس ولعل ثورات قامت ضد الصليحيين في اليمن كانت وراء فتور العلاقات بين الدولتين الى جانب الحالة السيئة التي عليها مصر قبل مجيء بدر (4) .

(1) - راجع ابن القلانسي / ذيل تاريخ دمشق / ص 124 - وابن تغري بردي / النجوم الزاهرة ج 5 ص 116 وأخيرا المقرئزي / المصدر السابق من ص 326 إلى 328 .

(2) - راجع المقرئزي / نفس المصدر ص 328 - وابن القلانسي نفس المصدر السابق والصفحة

(3) - راجع مشلا ح . ابراهيم ص . ح / تاريخ الدولة الفاطمية ص 239 .

(4) - راجع حسن سليمان حسن / تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي من ص 185 إلى 192 .

على كل حال بعد قتل علي الصليحي عندما كان في طريقه الى الحج سنة 459 1066 م - تولى الحكم اليمن ابنه احمد المكرم الذي لم يكن في وزن والده مما جعل زوجته أروى أو السيدة الحرة صاحبة الشخصية القوية هي التي تسير شؤون الدولة (1) . ويظهر أن الاتصالات بين الفاطميين والصليحيين قد توقفت أو حدثت ولم يعثر عليها لان حسن سليمان حسن (2) يحدثنا أن الصليحي بعث الى المستنصر يستشيريه حول عزمه مهاجمة مكة (3) وكذلك استئذانه له فيما بعد للحج (4) - والذي دفعنا الى القول بعدم وجود مراسلات أو اتصالات هو أن الرسائل المتبادلة بين الدولتين وهي المتضمنة فيما يسمى « بالسجلات المستنصرية تعود الى تاريخ استيلاء بدر الجمالي على الحكم في مصر سنة 467 هـ / 1074 م أي بعد سنة من وصوله إليها .

على كل حال بداية من السنة المذكورة توجد رسائل متبادلة بين بدر والمستنصر من جهة والسيدة الحرة أروى من جهة أخرى وكلها تمجيد لبدر الجمالي - الذي انقذ الدولة بعد أن كاد يستولى عليها المتمردون وفيها حث على طاعته والعمل بتوجيهه كما هي تحدثت على العودة الى دفع الفطرة - وتطلب من الصليحيين القضاء على بعض المنشقين الذين التجأوا إليهم - وتحدثنا هذه المراسلات على العلاقة المتينة بين الدولتين وتظهر في أنه لما توفي أحمد المكرم عينت زوجته ابنة الصغير السن واطلقت عليه « عبد المستنصر » وقد وجدت معارضة من أحد الدعاة وهو الأمير أبو حمير سبا بن احمد المظفر الصليحي الذي أوصى اليه احمد المكرم بخلافته (5) ...

-
- (1) - راجع الحديث عن شخصية هذه المرأة عند حسن سليمان حسن / تاريخ اليمن السياسي من ص 193 - 201 .
 - (2) - اسم كتابه هو المذكور سابقا : وتاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي .
 - (3) - راجع المصدر السابق ص 182
 - (4) - راجع المصدر ص 184
 - (5) - نفس المصدر مع شخصية السيدة الحرة

الا أن وزن بدر كان له دور في قبول هؤلاء بالأمر الواقع (أي الذين رفضوا قبول هذا التعيين (1) وكان له التأثير أيضا في الاتفاق الذي حصل بين السيدة الحرة والداعي حيث قبلت السيدة الحرة مشاركة هذا الشيخ في أمور الدعوة وتقديم المشورة ورفضت الزواج منه كما طلب ...

ولليمن الصليحي اشعاع على المناطق التي تدين بالولاء للفاطميين حيث نجد في هذه السجلات أمر بدر والمستنصر بتعيين بعض الدعاة وقمع عليهم الإختيار من طرف الصليحيين كما هو الشأن بالنسبة لعمان والهند (2) .

أما مكة فكانت الدعوة للفاطميين فيها بين مد وجزر إذ أن مصر تزود الكعبة بالكسوة والمال وكلما توقفت عن ذلك كانت أرضا خصبة للتأثير العباسي خاصة وهي المدينة المقدسة التي يهتم كل جماعة تريد أن تضيء على حكمها الشرعية وأحقية وراثته الخلافة الإسلامية السيطرة عليها . وهكذا عندما ضعفت مصر اثناء الشدة التي عرفتها قطعت الدعوة للفاطميين منها ثم عادت من جديد بداية من سنة 467 هـ / 1074 م . واستمرت في تاريخها بين الخطبة للفاطميين مرة وللعباسيين أخرى حيث يذكر اتعاظ الحنفا (3) مع احداث 470 هـ / 1077 « فيها وصل الى مكة منبر منقوش عليه بالذهب : لا اله الا الله محمد رسول الله الامام المقتدي بالله أمير المؤمنين ، فاتفق وصوله وقد أعيدت الخطبة للمستنصر فكسر المنبر المذكور واحرق » . وتواصل هذا الوضع الى أن توقفت الدعوة الفاطمية فيها نهائيا سنة 479 هـ / 1086 خاصة وأن الصليحيين الذين يمكن أن يملوا سلطانهم على هذه المدينة كانوا منشغلين بحل مشاكلهم الداخلية ، وفي هذا يقول اتعاظ الحنفا (4) « وفيها (أي في سنة 479) خلع اسم المستنصر وابائه من مكة والمدينة وكتب اسم المقتدي (العباسي) » .

-
- (1) - راجع السجلات المستنصرية من 122 - 125 وكذلك من 128 - 184 .
 - (2) - راجع ذلك في السجلات المستنصرية في الصفحات التالية - 167 - 168 - 177 - 178 - 179 وأخيرا 204 - 205
 - (3) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 319
 - (4) - راجع المصدر السابق ص 324 .

وفي كل هذه التغييرات لا يفوتنا أن نلاحظ أن شخصية بدر غير غائبة إذ أنه ولو أن اسم المستنصر هو الوارد في الكتابة لهؤلاء الأنصار فهذا في الظاهر أما الحقيقة فهي أن أمير الجيوش هو الذي يملئ هذه الرسائل على « ديوان الإنشاء » بأفكاره الخاصة وإذا لم يذكر اسمه صراحة فذلك حتى لا يظهر مغتصبا للحكم والخليفة يعيش في ظله ! والدليل على ذلك أن هذه التحولات لم تحدث إلا بعد حضور بدر إلى مصر ليكون الممارس الحقيقي للسلطة وإذا أخذنا السجلات المستنصرية كمرجع على ما نقول وجدنا شخصية بدر الجمالي تظل علينا في كل رسالة إلا ما ندر : ففي رسالة إلى عبد المستنصر (علي بن المكرم أحمد) (1) يرد ما يلي - ... « وقد بعثت إليك سجلا عن طريق أمير الجيوش ، وبالناسية يذكر بمناقبه وبما قدمه للدولة من خدمات » . وفي مكان آخر (2) يقول « أن أبا النجم بدر يعلمني بكل جديد يطرأ في بلادك » .

وفي رسالة بتاريخ سنة 478 هـ يقول إلى السيدة الحرة (3) بعد وفاة خليلك وتألّمي عليه أو عزت إلى أمير الجيوش ليكتب تقليد ولك ... »

هذه هي المناطق التي بقيت موالية للفاطميين وقد عمل بدر أثناء حكمه على ترسيخ الحضور الفاطمي فيها .

أما شمال إفريقيا وبيزنطة التي كان الإحتكاك بها موجودا من قبل في السلم والحرب فقد انقطع اتصال الدولة الفاطمية بها : الأولى بعد زحف القبائل العربية إليها ونشر القوضى في أرجائها ، والثانية بعد ظهور السلجوقيين كقوة تعمل على تثبيت حكمها في الأراضي الفاطمية وخاصة بعد سيطرتهم على المناطق الشمالية من الشام فأصبحوا عنصراً عازلاً بين الفاطميين والبيزنطيين

(1) - راجع السجلات المستنصرية من ص 140 - 142

(2) - راجع المصدر السابق ص 152 - 153

(3) - نفس المصدر ص 163 - 164

وبالنسبة لصقلية التي لها علاقات قديمة بالفاطمين فقد وقعت السيطرة عليها من طرف النورمان حيث ورد في اتعاظ الحنفا مع أحداث 479 هـ / 1086 م (1) « ان عسكرا عليه أجار (وهو Roger I) وصل صقلية وملكها من المسلمين » .

وقبل الانتقال الى عنصر اخر لا بد من الإشارة الى أن الحسن بن الصباح عند عودته الى بلاده بعد زيارته لمصر وما تعرض له فيها — وقد عرجنا على ذلك مع السياسة الدينية لأمير الجيوش — سلح جمعا من اتباعه واستولى بهم سنة 483 / 1088 م على قلعة الموت المنيعه التي تقع في منطقة جبلية وعرة شمال شرق القوقاز (2) كما استولى انصاره على قلعتين في اصفهان وبدأوا في مجادلات مع السلجوقيين واتباعهم ونشطوا في نشر الدعوة الاسماعلية واستعملوا السيف وأكثروا من قتل الناس غيلة (3) .

وهكذا استطاع الفاطميون في عهد بدر الجمالي تدعيم وجودهم سواء بولاتهم وحضورهم العسكري كما في ساحل الشام أو بالعلاقات المتينة التي ربطوها مع اليمن الصليحي أو بواسطة الدعاية كما هو الشأن في الهند وعمان وما قام به الحسن بن الصباح في الموت واصفهان . وهي رقعة ليست بالكبيرة لا محالة بالمقارنة مع ما كان للفاطمين من تأثير في المشرق والمغرب الاسلاميين لكن اذا وضعنا في الاعتبار الظروف « العالمية » وامكانيات السلطة المركزية في مصر وبعد المسافات وطاقة بدر وعمره اللذان لم يسمحا له أن يذهب أبعد من ذلك ، قلنا انه فيه الكفاية ! ...

جوانب من شخصية بدر الجمالي ونهايته :

من خلال سلوكه ومن الحياة التي عاشها وقد وقفنا على ذلك في العناصر السابقة نستطيع أن نستنتج ما يلي : بالرغم من أنه كان مملوكا فقد اتصف

(1) - راجع المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 325 .

(2) - راجع موضوع الموت في الموسوعة الإسلامية Encyclopédie de l'Islam

(3) - راجع مثلا المقرئزي / اتعاظ الحنفا / ج 2 ص 323 - 324

بالطموح وعود نفسه على الجد والمثابرة مما جعله يرتقي سلم الوظائف الى أن وصل الى التحكم في مصر بدون أن ينازعه في ذلك منازع (1) . ولا شك أنه في تحركه كان متشبعا بالروح العسكرية متأثرا ببيئته الأولى الجبلية في أرمينية - ونفهم من سياسته الداخلية والخارجية والظروف التي وصل فيها الى كرسي وزارة السيف والقلم أن الرجل صاحب عزيمة فولاذية وشجاع الى أبعد الحدود له نظر واضح في حل المشاكل ويعمل بطريقة منظمة من اجل الوصول الى أهدافه (2) وهو الى جانب ذلك شديد البطش ميال الى الحكم الفردي اشتهر بالقتل واراقة الدماء والتخلص من المناوئين بدون رحمة فقد قتل عشرين ألف من أسرى لواته وأفنى المتمردين في الجنوب وتبع كل عاص فصفاه حتى ولو كان من العلماء . ومن يخالف سلطة الدولة فله القتل ومصادرة الأموال . ومن أجل هيبة الدولة لم يتسامح حتى مع ابنه الأوحيد الذي ثار عليه والتجأ الى الإسكندرية فحاصره وقضى على اتباعه وألقى عليه القبض ثم تخلص منه بدون شفقة حيث يقال انه غرقة أو دفنة حيا أو جوعه حتى مات (3) وعندما انتقد في ذلك أجاب بأنه لو عصاني قلبي في جثمانى نزعته من صدري (4) ومن شدة بطشه وتصفيته لكل مناوئ قال فيه أحد الشعراء انه كان يشرب الدماء مثلما يحب شرب الماء (5) . ولو أن هذا الكلام فيه مبالغة الى حد ما الا أن الظروف الصعبة التي مرت بها مصر والتي استغلها في الوصول الى الحكم جعلت الإلتجاء الى العنف - وهو الذي يأتي بعد القوضى - ضروري من أجل انقاذ ما تبقى ثم ارجاع الأمور الى مجاريها فيما بعد . وهو في ملاحقة الأعداء لا يضعف ولا يعطف شأنه في ذلك شأن رجل الدولة المثالي الذي يضع مصلحة الدولة ونجاحه في مهمته فوق كل الاعتبارات كما أن روح الغليان والتمرد التي وجد عليها البلاد تجعله لا يتسامح اذ أنه لو فعل لأعطى فرصة جديدة للعصيان خاصة وأن الجراح الناجمة عن حروبه

-
- (1) - راجع ابن الصيرفي / الإشارة الى من نال الوزارة / ص 55 .
(2) - راجع فيات La Nation Egyptienne/Wiet في الصفحات : 245 - 247 - 254 .
(3) - راجع ابن حجر / رفع الاصر / ج 1 ص 133 - 134
(4) - راجع ابن حجر ص 134
(5) - راجع ابن حجر ص 133 - والشعر المشار اليه هو ابو يعلى بن الهبار .

من أجل استتباب الأمن لم تلتئم بعد وحب النار منه تبقى حاضرة في الأذهان .
لذلك فوضوح الرؤيا عنده والقيام بما من شأنه أن يكون عبرة هو الذي دفعه
الى كل ما قام به . ونرى أنه بعد قضائه على كل من عرف بالتمرد وكان
سببا في توقيف الحركة الإقتصادية والسياسية في البلاد استكان الأهالي
وانقادوا اليه ولعلهم أحبوه (1) لم لا وهو الرجل الذي انقذ دولة من السقوط
الا يكون له قوة فوق مستوى البشر خاصة وان البيئة الفاطمية التي وجد فيها
تعترف بالمنقذ وقد الهت الحاكم بأمر الله من قبل ورأت في الأئمة أناسا
معصومين .

وسياسة بدر الجمالي التي وقفنا عليها فيها كثير من العدل والإخلاص
والشرف (2) فقد استعمل السيف والغدر أحيانا مع اعدائه عندما كان الأمر
يقتضي ذلك ونشر العدل والإزدهار في البلاد عندما استتب الأمن ! ...
وحتى نستوفي شخصية أمير الجيوش نقول انه عاش في بحبوحة من العيش
كدس ثروة طائلة يظهر انها فاقت من سبقه بالرغم من أن آثار الفوضى التي
عاشتها مصر قبله لم تختفي تماما . استعمل بدر الجمالي الطرق المعروفة عند
الوزراء الفاطميين من أجل ثرائهم فله راتب ومقررات عينية ولأولاده
وعائلته كذلك زيادة على مصادره أموال الأمراء واحتكار بعض المواد
للاتجار بها - وهو شيء مألوف بالنسبة للوزراء الفاطميين (3) . كما
تحصل بدر على اقطاعات حبسها على عقبه وكانت هذه في البرين الشرقي
والغربي (4) الى جانب بساتين ظاهر باب الفتوح (5) .

(1) - مازالت العامة في مصر تطلق عليه سيدنا الجيوش راجع موضوع بدر في
Encyclopédie de l'Islam.

(2) - راجع Wiet فيات / La Nation Egyptienne / ص 254 .

(3) - راجع مثلا المفاوي / الوزارة والوزراء ص 82 و 84 .

(4) - اصل الريف في لغة العرب موضع الزرع والشجر الا انه غلب بالديار المصرية على
اسفل الارض منها الخ ... راجع القلقشندي / صبح الأعشى ج 3 ص 382 .

(5) - راجع مثلا المقرئزي / الخطوط / مكتبة الشئى ج 1 ص 110 حيث يقول عن هذه
الأحباس ولما مات وطال المهدي استأجرها الوزراء باجرة بسيطة طلبا للفائدة ثم ادخلت
بالديوان

وحتى نعرف حياة الرفاهية التي عاشها بدر نسوق ما يورده ابن الزبير في كتاب التحف والذخائر : « حدثني من أثنى به من أصحاب أمير الجيوش أن السكر عز بعكا وجميع الشام في سنة 462 (1069) وطلب فلم يوجد وبيع القنطار الشامي منه بخمسين دينارا وكان في خزائنه منه ثلاثمائة قنطارا ودخلت شهور الصيام واستؤذن على بيعه أو بيع بعضه فامتنع من ذلك وقال نحن نحتاج اليه في هذه الشهور يريد رجب وشعبان ورمضان فاستعملت في مطابقه وسمحت نفسه بما ثمنه خمسة عشر ألف دينار (1) . وفي رفع الأصر يذكر ابن حجر أن كاتب بدر المليح بن ممتي اشترى سمكة من عنبر بألف دينار ولما شرب خمرا وضعها في مقل فوق النار ، فلما سئل عن هذا التبذير اجاب حتي يعرف الناس من خلالها جاه وقوة بدر وقد استحسّن هذا الأخير فعلته ورده (2) ...

وعن الثروة التي جمعها بدر يذكر المقرئزي (3) « أن بدر خلف بعد عمارة سور القاهرة ستة الاف ألف دينار وأربع مائة ألف درهم ومن الجواهر والياقوت أربعة صناديق ومن القضب والفضة والمراكب (يعني السروج) المحلاة ما يعجز عن وصفه وخلف ألف قصبة زمرد وسبعمائة غلام » .

وقد كان بدر الى جانب ثرائه كريما يحب المديح ويستمع الى الشعراء المتغنين به ويثيب المجيدين منهم وهذا بالرغم من ضيق وقته ومشاغله . فقد جاء الشاعر الشامي علقمه ابن عبد الرزاق العلمي الى مصر ومدحه بقصيدة مطلعها : نحن التجار ... والتي يقول فيها :

يا بدر اقسم لو بك اعتصم الوري ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

(1) - راجع الذخائر والتحف / للقاضي ابن الزبير ص 110

(2) - راجع ابن حجر / ظ رفع الأصر عن قضاة مصر ج 1 ص 136 - 137

(3) - المقرئزي / اتماظ الخنفاء / ج 2 ص 330 وكذلك ابن ميسر / في أخبار مصر

وقد اعجب بدر بذلك فخرج الشاعر من عنده بسبعين بغلا تحمل انعامه .
وقال علقمه فقلت لمن ببابه من الشعراء وغيرهم ألحقوني الى منزلي فلحقوني
فما فيهم الا من خلعت عليه واعطيته من جائزتي (1) .

ولو أن بدر لا يرد الشعراء من على بابه وكان محبا للعلماء ولهم عليه
رسوم (2) فانه لم يتردد في قتل بعضهم مثل ابن ابي الشعباء وعلى بن
اسماعيل (3) .

حكم بدر الجمالي احدى وعشرين سنة الديار المصرية وانطلقا في ربيع
وقيل في جمادى الاولى سنة 487 هـ / 1094 م من مرض نزل به من أول
السنة حتى أسكته فلم يقدر على الكلام وكان له من العمر حوالي ثمانين
سنة (4) .

وبشخصيته هذه استطاع بدر الجمالي أن يتخذ وطنه الجديد من الخراب
ويعطيه نفسا جديدا يؤخر به لمدة قرن السقوط النهائي للنظام الفاطمي (5) .

هذا هو بدر الجمالي وما قدمه للدولة الفاطمية وما كسبه . ولعل أكون
بهذا الموضوع قد رسمت صورة كاملة للرجل وعرفت به تعريفا لا يستهان
به وشاركت بتواضع في دراسة فترة هامة من حياة الدولة الفاطمية بالشرق .

(1) - راجع المقرئزي وابن ميسر المصدران السابقان .

(2) - ابن كثير / البداية والنهاية / ج 11 ص 147 - 148

(3) - انظر ابن خلكان / وفيات الأعيان / المجلد الثاني من ص 89 - 90 - وكذلك
المنائي الوزارة والوزراء ص 117 . وأخيرا ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة / ج 5
ص 120 .

(4) - راجع المقرئزي / اتعاظ الخفاء / ج 2 ص 329 وكذلك ابن ميسر / اخبار مصر
ص 30 - 31

(5) - راجع فيات 254 La Nation Egyptienne/Wiet

مراجع البحث :

- 1 — اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء / لتقي الدين أحمد بن علي المقريري / الجزء الثاني / (من خلافة الحاكم الى نهاية عهد المستنصر) تحقيق محمد حلمي محمد أحمد / القاهرة 1971 .
- 2 — الأحكام السلطانية والولايات الدينية / أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي « 450 هـ » / دار الكتب المية / بيروت — لبنان —
- 3 — أخبار الدول المنقطعة / جمال الدين علي بن ظافر / دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب / اندريه فريه André Ferré / مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية / القاهرة 1972 .
- 4 — أخبار مصر / تأليف محمد بن علي بن يوسف بن جلب المعروف بابن ميسر / اعتني بتصحيحه هنري ماسيه Henri Masse / مطبعة المعهد العمي الفرنسي بالقاهرة 1919
- 5 — الإسلام وأصول الحكم ، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام / علي عبد الرازق / نقد وتعليق : ممدوح حقي / لبنان 1978 .
- 6 — الاشارة الى من نال الوزارة / تأليف أمين الدين تاج الرئاسة أبي القاسم علي ابن منجي بن سليمان الشهير ابن الصيرفي المصري / عني بتحقيقه والتعليق عليه : عبد الله مخلص عن النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة الكتب الخالدة ببيت المقدس / طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بالقاهرة 1924 .
- 7 — اغاثة الأمة بكشف الغمة / تقي الدين أحمد المقريري / قام بنشرة محمد مصطفى زيادة وجمال الدين سرور / القاهرة 1957 .
- 8 — البداية والنهاية / ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي .
مكتبة الرياض 1066 (ج 11 — 12)
- 9 — تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب / حسن ابراهيم حسن القاهرة 1958 .

- 10 — تاريخ مصر الإسلامية / جمال الدين الشيال / الجزء الأول / دار المعارف مصر 1967 .
- 11 — تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي / حسن سليمان محمود / بغداد 1969
- 12 — الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي / خاشع المعاضدي / بغداد 1975 — 1976 .
- 13 — حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين / راشد البراوي / مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة — القاهرة 1948 .
- 14 — دائرة المعارف / وهو قاموس عام لكل فن ومطلب / تأليف المعلم بطرس البستاني بيروت — لبنان .
- 15 — الذخائر والتحف / القاضي الرشيد ابن الزبير (القرن الخامس الهجري) حققه الدكتور محمد حميد الله / وقدم له وراجعته الدكتور صلاح الدين المنجد / الكويت 1959 .
- 16 — ذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الازرق الفارقي وبسط ابن الجوزي والحافظ الذهبي (ويعرف أيضا بتاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي) / طبع في بيروت بمطبعة الأباء اليسوعيين سنة 1908 .
- 17 — رفع الأصر عن قضاة مصر (جزءان) / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 773 — 852 تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة / المطبعة الأميرية — القاهرة 1957 .
- 18 — السجلات المستنصرية / سجلات وتوقعات وكتب لمولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه الى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح الجميع / تحقيق وتقديم عبد المنعم ماجد القاهرة — دار الفكر العربي 1954 .
- 19 — سيرة القاهرة .
- نقلة من الإنجليزية الى العربية حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن وأدوار حلیم القاهرة 1950 .

- 20 — صبح الأعشى في صناعة الإنشاء / أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي .
وزارة الثقافة والإرشاد القومي / سلسلة تراثنا / مصر 1963 .
- 21 — ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر / التاريخ السياسي /
عبد المنعم ماجد دار المعارف مصر 1968 .
- 22 — الغبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (توجد كلمة « كتاب » قبل العبر) —
عبد الرحمان بن خلدون / القسم الأول — المجلد الرابع — دا
الكتاب اللبثاني للطباعة والنشر 1968 .
- 23 — فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل
البخاري / للإمام حافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 773 — 852 /
المكتبة السلفية ومكتبتها .
- 24 — الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن الكرم الشيباني المعروف
بأبن الأمير الجزري (أبن الأثير) المتوفي سنة 630 هـ / الجزء الثامن / مطبعة
الاستقامة — القاهرة .
- 25 — المؤنس في أخبار افريقية وتونس / أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي
القاسم الرعيني القيرواني المعروف بأبن أبي دينار / تونس 1286 هـ / 1866 م .
- 26 — المجلة التاريخية المصرية / المجلد الثامن عشر 1971 / عنوان الموضوع
نشأة القاهرة وامتدادها في أيام الأيوبيين / د . عبد الرحمان زكي من
ص 111 — 160 .
- 27 — مساجد مصر وأولياؤها الصالحون / الجزء الأول / سعاد ماهر محمد /
المجلس الأعلى للشؤون الإجتماعية / مصر 1971 .
- 28 — مصر في عصر الدولة الفاطمية / محمد جمال الدين سرور / مكتبة
النهضة المصرية القاهرة 1960 .
- 29 — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي / المستشرق
زباور مطبعة جامعة فؤاد الاول 1951 .

- 30 — مقدمة كتاب العبر المعروفة بمقدمة ابن خلدون / دار الكتاب العربي — بيروت لبنان .
- 31 — المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرئية (توجد كلمة « كتاب » قبل المواعظ) / تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ المتوفي سنة 854 هـ دار صادر بيروت / ومكتبة المثنى — بغداد .
- 32 — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي 813 — 874 — الجزء الخامس / وزارة الثقافة والإرشاد القومي / مصر .
- 33 — النظم الإسلامية / حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن / القاهرة 1970 .
- 34 — الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي / محمد حمدي المناوي / دار المعارف بمصر .
- 35 — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان 608 — 681 هـ / تحقيق احسان عيان / ج 1 وج 2 / دار صادر بيروت .
- 36 — الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي / عبد المنعم ماجد والبناء .
- 37 — مجلة « العربي » / الكويت — جوان 1980 / ص 66 — موضوع « الباب الدامي » لجمال الغيطاتي .
- Encyclopédie de l'Islam : Article : Fatimide et Badr al - Djamali. — 38
- Essai sur les gouvernements de l'Égypte : par : Dubois Richard. — 39
Publié par Mémoires de l'Institut d'Égypte. Tome 51/An : 1941/
- Les Mosquées du Caire / Gaston Wiet / Photographies de Albert Shoucair / Librairie Hachette 1966./ — 40
- La Nation Egyptienne / Gaston Wiet Tome IV / Paris 1937./ — 41
- Supplément aux dictionnaires arabes / Dzy R. / Librairie du — 42
Liban / Beyrouth 1968./



